الفصل الأول

الجنون ..نظرة عامة

obeikandl.com

obeikandl.com

الجنون..نظرة عامة

لعل الأمراض النفسية من أكثر الموضوعات التي يحيط بها الغموض الذي يدفع الناس إلى تبني أفكار وتصورات غير واقعية حولها ومعتقدات غريبة عن أسباب المرض النفسي، الذي يتعارف العامة علي وصفه بحالة "الجنون "وعن المرضي النفسيين الذين يطلق الناس عليهم وصف "المجانين" وتمتد المفاهيم الخاطئة لتشمل تخصص الطب النفسي بصفة عامة، والذي أصبح اليوم رغم كل التطورات الحديثة في أساليب العلاج موضع نظرة سلبية من جانب مختلف فئات المجتمع ..

ولعل ذلك هو ما دفعني إلى تناول هذه القضية الهامة ليس دفاعا عن الطب النفسي بل من أجل تصحيح بعض المفاهيم السائدة بعرض بعض الحقائق والآراء حتى نتبين الجانب الآخر من الصورة.

الجنون والمجانين:

لا يخفي علي أحد أن استخدام هذه المصطلحات له وقع سيئ للغاية فوصف أي شخص بالجنون لاشك هو وصمة أليمة تلصق به، وتسبب له معاناة تضاف إلى مشكلته الأصلية التي تسببت في اضطراب حالته النفسية، فكأن المصائب لا تأتي فرادى بالنسبة لمرضي النفس الذين هم في أشد الحاجة إلى من يتفهم معاناتهم

ويحرص على عدم إيذاء مشاعرهم المرهفة، فقد يتسبب المحيطون بالمريض النفسي من أهله وأصدقائه ومعارفه في إضافة المزيد من الآلام النفسية إلى ما يعاني منه من اضطراب نفسي حين يقومون ولو بحسن نية باستخدام بعض المفردات التي يفهم المريض منها أنه قد أصبح أقل شأنا من المحيطين به، ولنا أن نعلم أن معظم مرضي النفس يتميزون بحساسية مفرطة تجاه نظرة الآخرين لهم وهذا جزء من مشكلتهم النفسية، فكأننا حين نؤذي مشاعرهم المرهفة بالإشارة أو حتى التلميح كمن يلهب بالسوط ظهر جواد متعب ومنهك أصلا.

ولكن ما المعنى اللغوي لكلمة " الجنون "؟الأصل هو كلمة "جَنَّ" وتعني اختفى، ومنها جن الليل أي أخذت ظلمته الأشياء، ومنها أيضا "الجنة" التي تعني الحديقة أو الشجر الكثير الذي يخفي ما بداخله، أما صلة هذا الاشتقاق بالعقل فإن العقل إذا جن فإنه قد أستتر واختفى فالشخص إذن "مجنون "ويقال أيضا إن الجن وهم المخلوقات التي تقابل الإنس تأتي تسميتهم تعبيراً عن اختفائهم عن الأبصار..

الجنون: لا يوجد مرض اسمه

إنني -بحكم عملي في مجال الطب النفسي - أؤكد أنه لا يوجد مرض نفسي أو عقلي اسمه "الجنون "بل إن هذا اللفظ لا يعني بالنسبة لنا في ممارسة الطب النفسي أي مدلول ولا يعبر عن وصف

لحالة مرضية معينة غير أننا لا نستطيع إنكار حقيقة هذا الوصف المتداول بصورة واسعة الانتشار بين الناس من مختلف الفئات لوصف المرضي النفسيين حيث يطلق عليهم المجانين وأحيانا يمتد هذا الوصف ليشمل كل ماله علاقة بالطب النفسي، فكل من يتردد على المستشفيات والعيادات النفسية هو في الغالب في نظر الناس جنون وانطلاقا من ذلك فإن المستشفى هي مكان للمجانين والأطباء النفسيين أيضا هم "دكاترة المجانين" !

وحين نلقي الضوء على معنى كلمة "مجنون" من منظور الطب النفسي .. وبحكم عملي في مجال الطب النفسي -أؤكد أنه لا يوجد مرض نفسي أو عقلي اسمه "الجنون "بل إن هذا اللفظ لا يعني بالنسبة لنا في ممارسة الطب النفسي أي مدلول ولا يعبر عن وصف لحالة مرضية معينة، غير أننا لا نستطيع إنكار حقيقة هذا الوصف المتداول بصورة واسعة الانتشار بين الناس من مختلف الفئات لوصف المرضى النفسيين حيث يطلق عليهم المجانين ولا يخفى على أحد أن استخدام هذه المصطلحات له وقع سيئ للغاية، فوصف أي شخص بالجنون لاشك هو وصمة أليمة تلصق به..وقد كان تناول القرآن الكريم في آيات متعددة إلى وصف "مجنون"، والسياق الذي فيه الإشارة إلى مفهوم الجنون دعوة للتأمل وإلقاء الضوء على هذا المفهوم قبل أن يتناوله الطب النفسي.

ولاشك أن هناك حاجزاً نفسياً بين الناس من مختلف فئات المجتمع ومن كل المستويات التعليمية تقريباً وبين الطب النفسي ، ويرجع ذلك إلي تبني الناس لأفكار و معتقدات هي في الغالب خاطئة وغير موضوعية وغالباً ما تكون وهمية حول مرضى النفس، والأمراض العقلية التي يصفها العامة في كلامهم بالجنون، كما يصفون كل من يتردد إلى الطب النفسي بالاختلال أو ما يلقبونه "المجنون "وحتى الأطباء النفسيون الذين يعالجون هؤلاء المرضى كثيراً ما يطلق عليهم بعض الناس " دكتور المجانين" ويشيع استخدام هذه المفردات رغم أنها لا تعنى أي شيء بالنسبة لنا فى الطب النفسي ولا تدل على وصف لأي حالة مرضية .!

لكن الأهم من ذلك والأخطر أن هذا الحاجز النفسي بين الناس وبين كل ما يتعلق بالطب النفسي يدفعهم إلى الابتعاد تماماً عن الاستفادة بأي خدمات تقدمها المصحات والعيادات النفسية حتى وهم في أشد الحاجة إلى العلاج النفسي أثناء إصابتهم بالأزمات والاضطرابات النفسية المختلفة لأي سبب، فترى المريض وأهله يترددون ألف مرة في الذهاب لعرض الحالة على الطبيب النفسي رغم اقتناعهم بأنه بحاجة إلى الفحص والعلاج النفسي وذلك خوفاً من الوصمة التي تحيط بكل من تردد إلى الأطباء النفسيين أو حتى يتعامل معهم.!

نبذة تاريخية :

لعل من أول ما سجله التاريخ المكتوب أن "امحتب " الذي لقب فيما بعد "أبو الطب " قد أسس في مدينة "منف " القديمة في مصر معبداً تحول إلي مدرسة للطب ، ومصحة لعلاج الأمراض البدنية والنفسية وقد ورد في مراجع التاريخ أيضا أن الأمراض النفسية - ومنها الفصام والهوس والاكتئاب كان يتم الاهتمام بها وعلاجها بوسائل وطرق تتشابه كثيراً مع الطرق المستخدمة في العلاج في وقتنا الحالي ، فقد ورد وصف للأنشطة الترفيهية والعلاج بالماء واستخدام الإيحاء والعلاج الديني للاضطرابات النفسية ، كما احتوت البرديات القديمة علي بعض النظريات التي تربط الأمراض النفسية بحالة الجسم وأمراض القلب وهذا يتماثل مع النظريات الحديثة التي تؤكد العلاقة بين الجسد والنفس وبين الأمراض العضوية والأمراض النفسية .

لقد ورد في كتب العهد القديم قصة " شاؤول" الذي أصابته الأرواح الشريرة بحالة الجنون أو المرض العقلي دفعه إلي أن يطلب من خادمه أن يقتله ، وعندما رفض الخادم الانصياع لأمره أقدم هو علي الانتحار .

وفي كتابات الإغريق هناك بعض الإشارات عن طريق الأساطير وعن طريق الشعر والأدب إلي حالات تشبه الجنون أي الفصام والهوس والاكتئاب وهذه أمثلة المرض العقلي بمفهومه الحالي ، فقد

ورد في " جمهورية أفلاطون "بعض التفاصيل عن حقوق المرضي النفسيين وكيفية علاجهم والعناية بهم، وقد كان "أبقراط"الذي أطلق عليه" أبو الطب" من أوائل الذين وصفوا حالة الاكتئاب ونقيضه "مرض الهوس" وصفاً لا يختلف عن الوصف الحالي ، وقد ربـــط "أبقراط "بين الجسد والروح ، أو "بين الجسم والعقل " وأكد وجود تأثير متبادل بينهما ، كما توصل ألي أن المخ هو مركز الإحساس وليس القلب وكان بذلك صاحب نظرة شاملة في الطب العضوي والنفسي ، وقام الأطباء الرومان بوصف بعض الأمراض العقلية ومن بينها الاكتئاب وتم تصنيفه الي نوع خارجي ونوع داخلي مثل بعض التصنيفات الحديثة في الطب النفسي.

وكـان السـبق لمصـر قبـل مـا يقـرب مـن 600سـنة بإنشـاء "بيمارستان "أو مستشفى قلاوون بالقاهرة الذي ضم قسماً لعلاج الأمراض العقلية بجانب أقسام الجراحة والطب الباطني وأمراض العيون ، وجاء العصر الحديث ليشهد تطورا هائلا في أساليب العلاج وبدأ استخدام الأدوية الحديثة التي غيرت الكثير من أوضاع المرضى النفسيين حيث تزايدت فرص الشفاء من المرض النفسي في العصر الحالي أكثر من أي وقت مضى.

خدعوك فقالوا :! ..

هناك الكثير من المعتقدات الخاطئة تحيط بالطب النفسي والمرضي العقليين ، والأمراض النفسية بصفة عامة ، وهذه المعتقدات قد تصل أحياناً إلي مستوى الخرافة لكنها تجد من يصدقها فهل تصدق - عزيزي القارئ -أن هناك من يعتقد بأن الأمراض العقلية تنتقل من شخص إلي آخر عن طريق العدوى مثل : الأنفلونزا ! بل إنهم يبالغون في ذلك فيؤكدون أن الابتعاد عن المجانين احتياط ضروري لمنع انتقال المرض ، لقد أثار ذلك اهتمامي بصفة خاصة لأن بعض الناس وجه إلي في بعض المناسبات سؤالا طريفاً لا أعلم إن كان علي سبيل المزاح أم إنها فكرة جادة ، لقد سئلت ما إذا كان الطبيب النفسي يتأثر بعد حين فتنتقل إليه بعض الصفات من مرضاه بحكم طول المخالطة ؟ لقد أضحكني هذا التساؤل لكنني لاحظت أن محدثي ينظر إلي بتركيز شديد ، لقد كانت نظراته ذات مغزى فقد كان يبحث عن إجابة لسؤاله !!

أما المعتقدات الوهمية حول المرضي النفسيين فهي كثيرة ومتنوعة ولعل الغموض الذي يحيط ببعض الموضوعات والظواهر النفسية هو الدافع إلي نسج الخيال حول أسباب المرض النفسي والقوى الخفية التي يمكن أن تكون وراءه ، فمن قائل بأن مس الجن أو دخول الشياطين إلي جسد الإنسان هو الذي يصيبه بالخلل العقلي ويؤثر في

اتزانه فيقلب كل موازينه رأسا علي عقب ، وكثيرًا ما يخبرنا المرضي وأهلهم عن واقعة ما بدأت بعدها علامات المرض النفسي في الظهور مثل السقوط في مكان مظلم او الفزع من موقف محدد أو مشاهدة كلب أسود !

وكثيرًا ما يرجع المريض وأهله كل ما أصابه إلي عين الحسود بل قد يحدد مصدر هذه العين وصاحبها ويظل أسيرا لهذه الفكرة فلا يستجيب لأي علاج أو يسيطر علي الشخص أنه ضحية لعمل من السحر ولن يشفي من مرضه النفسي حتى يتم فك هذا العمل بواسطة مختصين وليس عن طريق الطب النفسي ، إن علينا كأطباء نفسيين أن نستمع إلي كل ذلك وأن نحاول تصحيح المفاهيم والمعتقدات بالإقناع وبأسلوب هادئ .